

للمؤرب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ - ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

- ٤٤ -

الخاتمة

مات الرافعي فانطوت صفحة من تاريخ الأدب في مصر وانقرض جيل من أدباء العربية كان له مذهب ومنهاج ؛ ولكن الرافعي الذي مات وغَيَّبَتْهُ الصفائح قد خلف وراءه تراثاً من الذكريات والآثار الفنية ستتماقب أجيال قبل أن يفرغ الأدباء من دراستها والحديث عنها ؛ وإنها لذكريات تثير في كل نفس ما تثير من عوامل الكره أو المحبة ، وإنها لآثار ...

أما هذه الذكريات، على ما تبث في نفوس طائفة من الأدباء من معاني الغضب أو معاني الرضا ، فقد أثبت منها في هذه الفصول ما قدرت عليه ؛ وليس يعني ما تترك من أثر في نفس قارئها ، إذ كانت غايته التي أحرص عليها هي جلاء هذا التاريخ لقراء العربية كما أجد صورته في نفسي وأثره في وجداني ، متجرداً ما استطعت من غلبة الهوى وسلطان الماطفة وتحكم الرأي ؛ لأضع بين يدي كل قارئ - اليوم أو غداً - المادة التي تصينه على الدرس والحكم والموازنة

وأما آثاره الأدبية فقد فصلت الحديث عن بعضها في بعض ما سبق من هذه الفصول ، وإلى القارئ جملتها مرتبة على التاريخ الزمني :

١ - ديوان الرافعي : ثلاثة أجزاء ، صدرت بين سنتي ١٩٠٣ و ١٩٠٦ ، وقدم لكل جزء منها مقدمة في معاني الشعر تدل على مذهبه ونهجه ، وهي مذيلة بشرح يُنسب إلى أخيه المرحوم محمد كامل الرافعي وهو من إنشاء المترجم نفسه

٢ - ديوان للنظرات : جزءان ، صدرتا بين سنتي ١٩٠٦ و ١٩٠٨

٣ - ملكة الإنشاء : كتاب مدرسي يحتوي على نماذج أدبية من إنشائه ، أعد أكثر موضوعاته ونهياً لإصداره في سنة ١٩٠٧ ، ونشر منه بعض نماذج في ديوان النظرات ، ثم صرفته شؤون ما عن تنفيذ فكرته فأغفله ، وقد ضاعت (أصوله) فلم يبق منه إلا النماذج المطبوعة في ديوان النظرات

٤ - تاريخ آداب العرب : صدر في سنة ١٩١١ بسبب من إنشاء الجامعة المصرية ، وبراء أكثر الأدباء كتاب الرافعي الذي لا يعرفونه إلا به

٥ - إيجاز القرآن : وهو الجزء الثاني من تاريخ آداب العرب ، طبع ثلاث مرات ، أخرها في سنة ١٩٢٦ على نفقة المغفور له الملك فؤاد

٦ - حديث القمر : أول ما أصدر الرافعي في أدب الإنشاء ، وهو أسلوب رمزي في الحب تغاب عليه الصنعة ، أنشأه بعد رحلته إلى لبنان في سنة ١٩١٢ ، حيث التقى لأول مرة بالآنسة الأدبية (م . ي) فكان بينهما ما كان مما أجلت الحديث عنه في بعض الفصول من قصة حبه

٧ - المصاكين : فصول في بعض المعاني الإنسانية ألهمها إياه بعض ما كان في مصر من أثر الحرب للامة أنشأه في سنة ١٩١٧

٨ - نشيد سعد باشا زغلول : كتيب صغير عن نشيده : « اسلمى يا مصر ! » الذي أهداه إلى المرحوم سعد زغلول في سنة ١٩٢٣ ، طبع المطبعة السلفية بالقاهرة ؛ وأكثر ما في الكتاب من المقالات هو من إنشائه الرافعي أو إملأه

٩ - النشيد الوطني المصري : « إلى الملا ... » ضبط ألحانه الموسيقية ، الموسيقار المشهور منصور عوض

١٠ - رسائل الأحزان : كتاب أنشأه في سنة ١٩٢٤ يتحدث فيه عن شيء مما كان بينه وبين فلانة ، على شكل رسائل يزعم أنها من صديق يئسه ذات صدره

١١ - السحاب الأحمر : هو الجزء الثاني من قصة حب فلانة ، أو الطور الثاني من أطواره بعد القطيعة ، صدر بعد رسائل الأحزان بأشهر

١٢ - الحركة تحت راية القرآن : هو كتاب « الجديد

والفكرة العامة ؛ وبمعتبر هذا الفصل الأخير هو صلب الكتاب وأساسه ؛ وقد أتم الكتابة - إلى آخر يوم كنت معه - عن بضع وعشرين آية على هذا النسق ؛ وقد نشرتها في الرسالة بضع آيات مفسرة على ذلك النهج ، جعلها في بعض أقاصيصه^(١)

٣ - ديوان أغاني الشعب : وهو ديوان بن الشعر جعل فيه لكل جماعة أو طائفة من طوائف الشعب نشيداً أو أغنية عربية تنطق بخواطرها وتعبّر عن أمانتها ؛ وقد أجزى الراجي طائفة كبيرة من هذه الأغاني نشر بعضها وما يزال سائرها بين أوراقه الخاصة ومؤلفاته التي لم تنشر . وأكثر الأغاني في هذا الديوان مأنوس اللفظ رشيق المعنى مما يجعل وقته في النفس ويخف جرسه على الأذن .

٤ - الجزء الثالث من وحى القلم ؛ وفيه سائر المغالات التي كتبها ، سواء منها ما نشر في الرسالة وغيرها من المجلات والصحف ، وما لم ينشر من قبل

٥ - الجزء الأخير من الديوان : وهو مجموعة كبيرة من شعره بين سنتي ١٩٠٨ و ١٩٣٧ ، بما فيه من شعر الحب ، والمدائح الملكية التي أنشأها للذمفور له الملك فؤاد

هذا إلى شتيت من المقالات وارسائل الأدبية أنشأها لمناسباتها ومنها كثير من مقدمات الكتب المطبوعة ، بعضها منسوب إليه وبعضها متحول مجهول النسب !

وعلى كثرة ما ألف الراجي وأنشأ من الكتب والرسائل والمقالات والشعر ، فانك لا تكاد تجد كتاباً من كتب الراجي في دكان من دكاكين الوراقين ، اللهم إلا نسخة من كتاب وحى القلم في مكتبة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، التي طبعتها قبل نس مؤلفه بأشهر

أما المطبوع من سائر الكتب فقد نفذ من السوق ، وأما غير المطبوع منها فما زال ورقات وقصاصات على مكتبه ، وإنى لأخشى أن يمضي رتب طويل قبل أن تنبته إلى ضرورة العناية بهذه المؤلفات التي خلفها الراجي ورقات مخطوطة يكاد يبلها الإهمال والنسيان أو يسبق إليها الممت والقوارض

ولدى الدكتور محمد الراجي مشروع لحياء تراث أبيه ،

(١) اقرأ في قصة « سمو الحب » تفسير قوله تعالى - « وراودة التي هوى في بيتها ... الآءة

والقديم » وفيه قصة ما كان بينه وبين الدكتور طه حسين لمناسبة كتابه « في الشعر الجاهلي » ، صدر في سنة ١٩٢١

١٣ - على السفود : قصة الراجي والمقاد ، نشرته مجلة المصور في عهد منشئها الأول الأستاذ إسماعيل مظهر ، ولم تذكر اسم مؤلفه ورمزت إليه بكلمة « إمام من أئمة الأدب العربي »

١٤ - أوراق الورد : الجزء الأخير من قصة حبه ، يقوم على رسائل في فلسفة الجمال والحب أنشأها ليصور حالاً من حاله فيما كان بينه وبين فلانة ، ومما كان بينه وبين سديفته الأولى صاحبة حديث القمر

وتتبع كتاب الأروسة : حديث القمر ، ورد في الأحيوان ، والسحاب الأحمر ، وأوراق الورد - وحدة يتم بعضها بعضاً ، لأنها جرياً تتبع من معين واحد وترى إلى هدف واحد وإن اختلفت أساليبها ومذاهبها

١٥ - ٤٤٤ : كتاب لا أسميه ، أنشأه في صيف سنة ١٩٣٥ ، استجابة لرأي سديفته فلان وإليه ينسب ا

١٦ - وحى القلم : مجموع مقالاته في الرسالة بين سنتي ١٩٣٤ و ١٩٣٦ إلى مقالات أخرى ، طبع منه جزءان

وله هذا ذلك كتب لم يطبع أهمها ما يأتي :

١ - الجزء الثالث من تاريخ آداب العرب : تام التأليف والتصنيف تقريباً

أسرار الإيجاز : فيه فصول تامة التأليف ، وفصول أخرى أجل فكرتها في كلمات على ورق أو أشار إلى مصادرها ، وكان الراجي يعتد بهذا الكتاب اعتداداً كبيراً ، وهو جدير بذلك حقاً ؛ وقد أطلعتني - رحمه الله - على فصول منه ، كما تحدث إلى عن نهجه في تأليفه ، وأذكر أن نهجه فيه كما يأتي :

١ - يتحدث في صدر الكتاب عن البلاغة العربية ، فيردها إلى أصول غير الأصول التي اصطلاح عليها علماءها منذ كانت ، ويضع لها قواعد جديدة وأصولاً أخرى

ب - ويتحدث في الفصل الثاني عن بلاغة القرآن وأسرار إيجازه ، مسترشداً في ذلك بما قدم في للفصل السابق من قواعد ج - ويتناول في الفصل الأخير من الكتاب ، آيات من القرآن على أسلوب من التفسير يبين سر إيجازها في اللفظ والمعنى